

جدلية المثاقفة اللاهوتية والحوار المسيحي اليهودي

The Dialectical Theology of Theology and Christian-Jewish Dialogue

أ.د. عبد القادر بخوش¹

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر

bekhouche@qu.edu.qa

تاريخ الوصول: 2020/06/16 القبول: 2020/08/30 النشر على الخط: 2021/06/15

Received: 16/06/2020 Accepted : 30/08/2020 Published online : 15/06/2021

ملخص:

تبرز أهمية البحث في معرفة خصوصية العلاقة بين اليهودية والمسيحية الغربية، والتي شهدت تطوراً ونموً وتعاوناً، تجسد في المثاقفة اللاهوتية. وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

كيف نجح الحوار المسيحي اليهودي في إحداث تغيير جذري في طبيعة العلاقات المسيحية اليهودية، من علاقات عدائية متأصلة إلى علاقات حميمة متميزة؟ وكيف تشكلت المثاقفة اللاهوتية؟ وما أثرها في تعزيز الحوار اليهودي والمسيحي؟

اتخذت الدراسة من المنهج التحليلي النقدي وسيلة للكشف عن الأصول اللاهوتية وتطورها في قوالب جديدة، واستعانت الدراسة بالمنهج المقارن بين المبادئ اللاهوتية للكشف عن التأثير والتأثر بينها.

وخلصت الدراسة إلى أن الحوار المسيحي اليهودي، هو مشروع عمل ينطلق من رؤية استراتيجية مشتركة، نتج عنه هذا التعاطف الغربي الرهيب، مع اليهودية والتنسيق التام معها، إنه مدين كله إلى ذلك التوافق الديني الذي حققته المثاقفة اللاهوتية اليهودية والمسيحية.

الكلمات المفتاحية: المثاقفة اللاهوتية، اليهودية، المسيحية، الحوار.

Abstract:

The importance of research in the knowledge of the privacy of the relationship between Judaism and Western Christianity, which has seen growth and development and cooperation, embodied in religious harmony.

This study attempts to answer the following questions:

How did the Christian-Jewish dialogue succeed in bringing about a fundamental change in the nature of Jewish-Christian relations, from inherently hostile relationships to distinct intimate relationships?

How does religious harmony constitute? What is its effect on promoting Jewish and Christian dialogue?

The study took a critical analytical method as a way to reveal theological origins and their development in new forms. The study used the comparative approach between the theological principles to reveal the influence and influence among them.

The study concluded that the Christian-Jewish dialogue is a project that proceeds from a common strategic vision, which has resulted in this terrible Western sympathy for Judaism and its complete coordination with it

Keywords: Theology acculturation, Judaism, Christianity, Dialogue.

¹ المؤلف المرسل: أ.د. عبد القادر بخوش الإيميل: bekhouche@qu.edu.qa

مقدمة:

نشأت العلاقة بين اليهودية والمسيحية بنشوء المسيحية، وتشكلت استجابة لظروف تاريخية طارئة، اتسمت في البداية بالكثير من التوتر والاضطراب، وظلت العلاقة معقدة ومتشعبة ردحا من الزمن، وعادت هذه العلاقة كي تنتعش مع ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر الميلادي، وما انفكت تشهد العلاقة تطورا مطردا، حتى بدأت العلاقة في تحسن مع الكاثوليكية في العصر الحاضر؛ لتثمر خصوصية العلاقة تطورا ونموا وتعاوننا مستمرا بين اليهودية والمسيحية الغربية، تجسد في التوافق الديني بفضل الثقافة اللاهوتية بين اليهودية والمسيحية الغربية.

ويأتي هذا البحث؛ لتقصي الثقافة اللاهوتية المنبثقة من التفاعل اللاهوتي بين الديانتين؛ المسيحية واليهودية، والتي تعني علاقة تفاعلية متبادلة بين منظومتين دينيتين مختلفتين، تنشأ جراء توليد علاقة، تتميز بتبادل الرؤى اللاهوتية وتلاقح الأنساق الدينية.

انطلاقا مما تقدم، سوف نحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

كيف تشكلت الثقافة اللاهوتية عبر المحطات التاريخية الكبرى؟ وما أثرها في تعزيز الحوار المسيحي الغربي اليهودي والدفع به قدما؟ وكيف نجح الحوار المسيحي اليهودي في إحداث تغيير جذري في طبيعة العلاقات المسيحية اليهودية، من علاقات عدائية متأصلة إلى علاقات حميمة متميزة؟

اتخذت الدراسة من المنهج الوصفي والتحليل النقدي، وسيلة للكشف عن الأصول اللاهوتية، من حيث النشأة والعوامل التي ساعدت على تطوير هذه الأصول، واستعانت الدراسة بالمنهج المقارن؛ للكشف عن التأثير والتأثر الحاصل بينها. وينبغي الإشارة هنا، إلى أن الدراسة تقتصر على المسيحية الغربية؛ لما لها من دور فعال في توطيد العلاقة المسيحية اليهودية، وتتخذ من المحطات التاريخية الكبرى - الثقافة اللاهوتية المبكرة، الثقافة اللاهوتية المسيحية البروتستانتية واليهودية، الثقافة اللاهوتية الكاثوليكية - التي حدثت فيها مقارنة لاهوتية فاعلة كان لها تأثيرها الإيجابي على طبيعة العلاقة المسيحية الغربية اليهودية.

وتظهر أهمية الدراسة، في أنها تنحو نحو سبر أغوار التاريخ اللاهوتي، العميق الجذور، والممتد إلى نشأة المسيحية في بيئة يهودية، ليتتبع التطور اللاهوتي الحاصل في الديانتين، والحفر في مقولاته والنش في نصوصه؛ لمعرفة مدى توظيف الثقافة اللاهوتية، في تجسير أواصر الالتقاء والتعايش بين اليهود والمسيحيين الغربيين.

المبحث الأول: الثقافة اللاهوتية المبكرة:

بدأ التواصل المسيحي اليهودي باكرا، لقد ولدت المسيحية وصاغت تعاليمها الأولية في بيئة يهودية صرفة؛ فالمسيح الذي قامت عليه العقائد المسيحية، كان يهوديا، عاش في بيئة يهودية لشأن يهودي، وللباحث أن يطرح جملة من الأسئلة، كيف استقبله اليهود؟ وكيف كان موقفهم منه؟ ومن رسالته؟

المطلب الأول: موقف اليهود من تعاليم المسيح:

عاش اليهود في عصر المسيح في أتعس حال، فقد غمرت حياتهم السياسية الفتنة الداخلية، ودب الخلاف بين فرقهم الدينية، وإلى جانب هذه الظروف الداخلية القلقة، هناك ظروف خارجية كانت تبعث على قلق أكبر، لما عاناه اليهود من قساوة، ومحن تحت نير الاستعمار

الروماني(1).

أمام هذا الوضع المضطرب على جميع الأصعدة، ظلّ يراود اليهود حلمٌ طالما دغدغ مشاعرهم، وهو فكرة الخلاص عن طريق نبي منتظر، يكون من نسل داود عليه السلام، يجمع شتاتهم، ويخلصهم من نير الذل والاستعباد. ويحقق لهم المملكة الموعودة. وهذا النبي، هو المسيح عليه السلام الذي ذكره كتابهم المقدس.

طلق اليهود يستعدون لقدم المسيح المخلص، خاصة بعد أن بشرهم به يوحنا المعمدان، وحثهم على استقباله بالتوبة إلى الله⁽²⁾. وقد أقام اليهود هذه العقيدة -المسيح المخلص- على تصورات ذهنية، اتسع لها التأويل، والتخريج للكتاب المقدس، فبالغوا في ذلك حتى ادعوا بأن هناك بشارات وعلامات، تلازم مجيء المسيح المخلص، وبدونها لا يحق لأحد أن يدعي لنفسه زورا، صفة المسيح مخلص إسرائيل.

وحتى يثبت المجيء، لا بد أن يوفق المسيح في لمّ شمل اليهود، وجمع شتاتهم، وأن يستتب الأمر لليهود على كل الأرض، المتعاقد عليها مع يهوه، أي أرض الميعاد، وينجح في تطهير أورشليم من كل أجنبي، ويتمكن من إقامة الهيكل بها، وبذلك يصير الشعب المختار القوة العالمية المهيمنة التي تتحكم في رقاب البشر⁽³⁾، لكن مجيء المسيح عليه السلام أسقط كل التوقعات، وخيب جميع ظنون الكهنة.

حرص المسيح في دعوته على تحرير الاختيار الإلهي، من الجنس والعنصر، وبين بأن الاختيار، لا يقتصر على شعب معين، أو عنصر ما، فالذي يؤمن بتعاليم المسيح، ويسلك طريقه، يصبح مختارا من الله، وبالتالي لا مكان للأسطورة التي تربط بين الله وشعبه المختار، إذ أصبح العهد الجديد، يُبنى على علاقة شخصية بين الله والإنسان، ويكون المسيح هو وسيط هذا العهد، فيولد الإنسان من جديد⁽⁴⁾.

ولبث المسيح يجاهر بهذه التعاليم، والتي هي في الأصل تعاليم موسى الأول، وظل يجادل كهنة يهود الذين خافوا من تزعزع مكانتهم الدينية، ويدحض آراءهم فيما أحدثوه من بدع وخرافات، لم يأت بها موسى عليه السلام، وخاطبهم بلهجة شديدة، وفضحهم في أكثر من مناسبة، وحذر أتباعه أن يقتلوا بهم في عملهم، وأن يدعوا مثل دعواهم⁽⁵⁾، حتى ضاقوا به ذرعا، وخافوا من زوال مكانتهم، وادعوا بأن المسيح لم يرد تخلصهم مما هم فيه، كما تنبأ بذلك أنبياءهم من قبل -حسب زعمهم- وإنما جاء ليفضحهم أمام الناس؛ لذلك تمكّن الحقد من نفوسهم، فبدؤوا يدبرون المؤامرات، والدسائس للقضاء على دعوته.

وعندما استنفذوا كل قواهم، دون تحقيق هدفهم، قرروا التخلص منه نهائيا؛ فتمت عملية الصلب بطريقة بشعة⁽⁶⁾، والقرآن الكريم يخبرنا

-1- Christienne. S. Juifs, Chrétiens et Romains les édition de la bible, (paris: novembre 1985).

-2- إنجيل متى، الإصحاح 3، فقرة 1-3.

-3- H. G. Wills, Abrégé de l'histoire du monde (GENEVE. EDITION Jeneber,) p160.

-4- إنجيل مرقس: الإصحاح 10، فقرة 35-54.

H. G. Wills, Abrégé de l'histoire du monde. P 6.8.

-5- MARCHDONE. JESUS ET LES PHARISIENS (Les dossiers de la Bible, Paris, n°12. Mars 1986) pp 6-8.

-6- إنجيل متى: الإصحاح 27، فقرة 57-60.

إنجيل مرقس: الإصحاح 15، فقرة 42-46.

إنجيل لوقا: الإصحاح 23، فقرة 50-54.

إنجيل يوحنا: الإصحاح 19، فقرة 38-40.

بأن كهنة اليهود لم يصلبوا المسيح، وإنما صلبوا شبيهه، ولكن نية قتل المسيح كانت موجودة⁽¹⁾. وبعد نهاية المسيح، بدأت العقائد المسيحية وتعاليمها تتخذ مسارا جديدا ونظاما لاهوتيا مغايرا والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل المنظومة اللاهوتية الجديدة للمسيحية خدمت الديانة اليهودية؟ وهل حدثت ثقافة لاهوتية بين المسيحية واليهودية، كان لها تأثيرها في رآب الصدع وتخفيف حدة التوتر بين اليهودية والمسيحية؟

المطلب الثاني: بولس و إرساء الأسس اللاهوتية المسيحية:

تبوأ بولس الرسول مكانة مرموقة في الديانة المسيحية، وقصته في هذه الديانة قصة عجيبة، وهي تنسب إليه أكثر من نسبتها إلى أحد سواه⁽²⁾. لقد لعب بولس دورا كبيرا في رسم ملامح جديدة لتعاليم المسيح، تحاول أن تصيغ منها منظومة دينية مسيحية، بدأت بصياغة طبيعة المسيح وعلاقتها بالله، وبرزت قصة المنقذ لتكفير عن خطيئة البشر، و قد أحدث بولس رؤية تأويلية جديدة في المبادئ اللاهوتية التي عكف المسيح يلقنها لأتباعه، كالحثان، وعدم أكل لحم الخنزير⁽³⁾. ولذلك فإن الكثير من الثقة المسيحيين يعدونه المؤسس الحقيقي للمسيحية⁽⁴⁾.

ولعلنا نتساءل: ماذا قدمت تعاليم بولس الجديدة من خدمات في إطار التقارب المسيحي اليهودي؟ وهل أرست تعاليمه ثقافة لاهوتية بين الديانتين؟

للإجابة عن هذين السؤالين، ينبغي التذكير بأمرين رئيسيين لازما بولس، وهما محل اتفاق بين المؤرخين المسيحيين:

أولا: اليهودية التلمودية و بولس:

ولد بولس بطرطوس سنة 10 للميلاد، وكان ينحدر من سلالة يهودية، وينتمي إلى فرقة الفريسيين، فرقة الكهنة، وبذلك ترعرع في أحضان الثقافة اليهودية التلمودية⁽⁵⁾. لقد كان تَوَاقا لمعرفة الديانة اليهودية، فتلقى العلوم الخاصة بأصول اليهود⁽⁶⁾، واستوفاهما حتى فاق أقرانه، وقد اعترفت المصادر المسيحية له بغيرته الشديدة على الديانة اليهودية؛ مقتفيا في ذلك آثار الفريسيين، وقد استقى منهم الرأي في النجاة وفي المنقذ⁽⁷⁾. وهذا التشدد والتعصب لليهودية، لازمه حتى إبان اعتناقه للمسيحية، فقد عاش يهوديا فريسيا الروح، ويعترف المؤرخ المسيحي شارل جنير Charles Juniper بذلك، فيقول: «وحتى في دفاعه عن عقيدته الجديدة وهجومه على الشريعة اليهودية، قد بقي يهوديا

¹⁾ -H. G. Wills, Abrégé de l'histoire du monde. Pp 164-167.

وول ديورانت، قصة الحضارة، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران (مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1990 م). ج.3، ص249.

²⁾ - شارل جنير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ط. - د.ت.)، ص70.

³⁾ -المرجع السابق، ص، 82.

⁴⁾ - أحمد شلي، المسيحية، (القاهرة: مكتبة النهضة، ط8، 1984م). ص111.

⁵⁾ -CHDASHOINE, E, OSTY. Les Epitres de Saint Paul. Traduction nouvelle avec introduction et ces notes (Paris, edition Siloe, s.d.) p 2/3/4.

-J. M. GUILLEMON, EPITRES DE SAINT PAUL. (analyse-raisonne). (Paris, Librairie editeurs. 1873) tome 1, pp 6/7.

⁶⁾ - باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي (بيروت: الطليعة للطبع والنشر، ط2، 1981). ص185.

⁷⁾ - شارل جنير، المرجع السابق، ص84.

كما كان من قبل»⁽¹⁾. وقد تعرّض المؤرخ وول ديورانت Will Durant لهذه المسألة، وأفاض فيها، حين كشف لنا السر من تقهقر تعاليم التلاميذ أمام تعاليمه، فيقول: «ومع كل هذا بقي الرجل الذي فصل المسيحية عن اليهودية من حيث الجوهر والأساس يهوديا في قوة خلقه وصرامة مبادئه»⁽²⁾.

ثانيا: الروح العدوانية للمسيحية:

إن الروح العدوانية التي تشبّع بها بولس تجاه المسيحية بداية، أمر لا خلاف فيه في المصادر المسيحية⁽³⁾. فقد كان في صدر حياته من ألد أعداء المسيح بلا منازع، وقاد أكبر الحملات ضد المسيح وتلاميذه، فكان يضطهدهم حتى الموت، ويزج بهم في غياهب السجون رجالا ونساءً⁽⁴⁾. وبولس نفسه يعترف بذلك، فيقول: «فأنا ارتأيت في نفسي أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري، وفعلت ذلك ذلك أيضا في اورشليم، فحبست في سجون كثيرة من القديسين آخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة، ... وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مرارا كثيرة وأضطهرهم إلى التجديف»⁽⁵⁾.

وتذكر المصادر المسيحية، أن ذلك اليهودي الفريسي الذي كاد للمسيحية هذا الكيد، وسلط على أتباعها ألوانا من العذاب قد اعتنق المسيحية فجأة. بعد أن نسج في ذلك قصة، تتمثل في أن المسيح ظهر له بعد صلبه، وهو في طريقه إلى دمشق ليضطهد المسيحيين⁽⁶⁾. وباعتناق بولس للمسيحية، لم يرض لنفسه أن يكون مسيحيا عاديا، بل أصبح قديسا عظيما، تفوق شهرته حواربي المسيح⁽⁷⁾.

وهنا لا بد من وقفة تأمل لأسئلة عديدة، تفرض نفسها بإلحاح:

إن هذا الفريسي اليهودي الذي كرّس حياته في خدمة الديانة اليهودية، والذي قتل واضطهد المسيحيين، وهو يلاحقهم للتنكيل بهم، وفي طريقه للقبض عليهم يدخل فجأة في المسيحية. فهل يعقل أن يؤمن بالمسيح بهذه السرعة؟ أضف إلى ذلك: كيف تعلم بولس المسيحية؟ ومن هم أساتذته؟ وهو الذي لم ير المسيح قط، ولا سمعه. وكيف تم تصديقه، بمجرد أنه ادعى بعد صلبه مباشرة، أنه بينه وبين المسيح صلة أدخلته المسيحية، وسكنت في نفسه تعاليم جديدة؟ فكيف أضحت لهذه الدعوة الأسطورية تلك القدسية، بحيث لا يمكن مصادرتها أو تسرب الريب إليها؟

والسؤال هنا، كيف ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى أن يصبح أعظم داعية للدين الذي كان كافرا به بسرعة فائقة؟. سؤال تاريخي وجيه، ظلّ يستفز الفكر المسيحي، ففتح بذلك الباب على مصراعيه لتأويلات حيناً، واعتراف بوجود مؤامرة أحيانا أخرى.

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 100.

⁽²⁾ - قصة الحضارة، ج3، ص 270/269.

⁽³⁾ - Paul, Routier du Christ, (Paris ; Edition Castekman : 1946) pp 12-13.

⁽⁴⁾ - أعمال الرسل، الإصحاح 8، فقرة: 3.

⁽⁵⁾ - أعمال الرسل، الإصحاح 26، فقرة 11/9.

⁽⁶⁾ - أعمال الرسل، الإصحاح 26، فقرة 18.

⁽⁷⁾ - انظر بالتفصيل: رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي، الإصحاح الثالث.

أسهمت الاضطهادات التي تعرض لها الحواريون وأتباعهم، والتي كان المسيح نفسه ضحيتها، في ظهور بولس بمظهر المنقذ والمخلص للديانة المسيحية، حيث أحاط نفسه بضمانات بعد أن تقرب إلى السلطة، فلقى عناية خاصة من قبل الإمبراطورية الرومانية⁽¹⁾، ونصّب نفسه الأمين الوحيد على المسيحية، وأن كل من يعارض تعاليمه الجديدة يعد هرطقة دينية وكلاما باطلا⁽²⁾.

وبهذا تقدم بولس بدعوته الجديدة، وتأخر الحواريون، حتى صار هذا الرجل اليهودي في تاريخ المسيحية أحد الرسل السبعين الذين نزل عليهم روح القدس، وتفاقم تأثيره حتى صار معلما لمقرس⁽³⁾، أحد كتاب الأناجيل الأربعة، وأضحت رسائله وكتبه أسفارا مقدسة، تشغل القسم الأكبر من العهد الجديد، وبذلك أرسى قواعد الديانة المسيحية⁽⁴⁾.

ومنه، يمكن للباحث، أن يتساءل عن ما مدى ارتباط هذه التعاليم المسيحية الجديدة بتطور العلاقة المسيحية اليهودية فيما بعد؟ والباحث المحقق، يرصد تضاربا بين آراء المحققين إلى حد التناقض، فهناك من انتصر إلى أن بولس بتعاليمه الجديدة عمد إلى تهويد المسيحية وتطويعها لخدمة الديانة اليهودية، وعزز رأيه بجملة من الشواهد التاريخية، لا يتسع المقام للتفصيل فيها.

وبالمقابل ذهب فريق آخر من المحققين إلى عكس الفكرة الأولى، بأن بولس الرسول أحدث قطيعة بين اليهودية والمسيحية، و ليس أدل على ذلك دعوته إلى إلغاء الختان وغيره من الطقوس اليهودية، وكانت أغلب وصاياه تدعو إلى تحرير المسيحية من التعاليم الدينية اليهودية⁽⁵⁾.

ومهما يكن من خلاف بين المؤرخين والدارسين، بخصوص تهويد المسيحية من عدمها مع بولس، وليس من هدفنا هنا، أن نفاضل بين الرأيين، وأن نغلب أحدهما على الآخر. إلا أنه لا خلاف، بأن العلاقة اليهودية والمسيحية شهدت عهدا جديدا، خفت فيه حدة التوتر والعداوة المستحكمة، فأضحت المسيحية لا تطرح نفسها كبديل حتمي لليهودية، وأنها شأن يهودي خالص، هدفه إحلال تعاليم المسيح الجديدة محل التعاليم اليهودية الموروثة. لقد أضحت الحديث عن مسيحية لا تخص اليهود وإنما هي شأن عالمي. لقد أسكب بولس في تعاليمه المسيحية حمولة فلسفية يونانية وغنوصية رومانية وثنية، وُجدت لها أتباعٌ كثر عند الوثنيين اليونان والرومان؛ متأثراً في ذلك بما كان شائعاً من أفكار في تلك البيئة، وهذا ما جعل المؤرخ الكاثوليكي بول جونسون Paul Johnson يتساءل: هل استسلمت الإمبراطورية للمسيحية؟ أم أن المسيحية زنت مع الإمبراطورية⁽⁶⁾؟ ومع هذه الحمولة الفلسفية والغنوصية التي طبعت المسيحية بفضل بولس؛ فإن تعاليمه لم تخل من نزعة يهودية بادية، فلم تنكر شرعية كتاب اليهود المقدس، بل استوعبته في كتابها ذاته، وظلت التوراة مصدر الشريعة المسيحية، بفضل بولس الذي أطلق على التوراة اسم العهد القديم، وبهذا لقت تعاليم بولس رواجاً كبيراً في أوساط الوثنيين، وتفهماً من قبل جمهور كبير من اليهود⁽⁷⁾.

من الثابت تاريخياً كما تمت الإشارة إليه، أن طبيعة العلاقة بين اليهودية والمسيحية يشوبها الاضطراب والتوتر الكبير منذ البداية، ثم برز الدور الذي قام به بولس بتعاليمه اللاهوتية، سمحت بأن تأخذ العلاقة اليهودية المسيحية طابعا جديدا يتسم بالإيجابية، وسرعان ما راحت هذه العلاقة تتحسن وتتوطد حين هاجر اليهود إلى أوروبا موطن المسيحية، ومحاولة التقارب اللاهوتي الذي حدث بعد ذلك.

⁽¹⁾ - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج3، ص 216.

⁽²⁾ - أحمد شليبي، المسيحية، ص 114.

⁽³⁾ - MICHEL, QUESNEL. L'HISTOIRE DES EVANGILES (Paris, les editions du Cerf, 1987) p76.

⁽⁴⁾ - H. G. Wills, Abrégé de l'histoire du monde. p165-166.

⁽⁵⁾ - صلاح سالم، المشترك التوحيدي و الضمير الإنساني (القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، ط2، السنة 2010م)، ص 161-163.

⁽⁶⁾ - لويس صليبي، المسيحية بين البوذية والإسلام (بيروت: دار ومكتبة بيبليون، ط1، 2018)، ص 10.

⁽⁷⁾ - صلاح سالم، المشترك التوحيدي و الضمير الإنساني، ص 163.

المبحث الثاني: المثاقفة اللاهوتية البروتستانتية اليهودية:

إذا كانت تعاليم بولس قد نجحت في تخفيف حدة التوتر بين الديانتين، فإن هذه المرحلة شهدت بالذات توافقاً لاهوتياً لافتاً بين المسيحية البروتستانتية واليهودية، كان له عظيم الأثر في تحسين وتوطيد العلاقة المسيحية اليهودية.

المطلب الأول: مصالحة المسيحيين وامتصاص غضبهم:

شهدت أوروبا خلال القرون الوسطى، وبخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر سلسلة دامية من التنكيل والاضطهاد ضد اليهود، وبقي بنو إسرائيل يرزحون تحت نير هذا الاستعباد ردحا من الزمن، فقد طُردوا من إنجلترا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر، ومن إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر. وذاق اليهود على مدى هذه القرون ألواناً من العذاب والاضطهاد، وتولّت المؤرخة اليهودية باربرة تشمان Barbara Tuchman تتبع جذور الكراهية لليهود في أوروبا، بأنها تعود إلى فترات الحروب الصليبية، لأسباب دينية واقتصادية؛ فاليهود في نظر مسيحيي أوروبا، هم أعداء المسيح وقتلته من جهة، وهم يشكلون طبقة اقتصادية ثرية تتحكم في ناصية التجارة الخارجية، وأخضعت أوروبا لقبضتها من جهة أخرى (1). ولهذا كان طبيعياً أن تُعدّ اليهودية حركة تمرد على الدولة، وتفكيك لعراها، ولذلك دفعت هذه الظروف التي ألمت باليهود إلى الهجرة الجماعية، والتي لم تجد محتضناً لذلك سوى البلاد الإسلامية، ويعترف القس إكرام بأنه في عام 1490م شهدت مذابح جماعية لليهود في إسبانيا والبرتغال، فالتجأ اليهود إلى القسطنطينية حيث لُقوا ترحيباً من الإمبراطورية العثمانية، وشغلوا مناصب عليا بها، وكان هناك أكبر مركز تجمع يهودي في ذلك الوقت (2). ويعترف المفكر اليهودي صموئيل إيتنجر Samuel Ettinger بذلك حين يؤكد بأن وضع يهود الشرق، كان أفضل بكثير من وضع يهود أوروبا الذين تعرضوا للاضطهاد والتنكيل لأسباب سياسية واقتصادية ودينية، فكثيراً ما كانوا يتعرضون للطرده من البلدان التي هاجروا إليها، في حين أن يهود بلدان الشرق لم يتعرضوا لشيء من هذا (3). ولكن عندما بدأت الخلافة الإسلامية تعيش مرحلة التذبذب، وتسلك طريق التراجع، وتفقد فرصتها في الهيمنة على العالم، ولاح مؤشر هذا التراجع مع سقوط غرناطة عام 1492م، حيث انتشرت محاكم التفتيش تفتك بالمسلمين واليهود على السواء، هاجر جمهور غفير من اليهود إلى أوروبا من جديد، واستوطنوا بها، وتحكّموا في زمام أمورها فيما بعد (4).

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: كيف استطاع اليهود الذهاب إلى أوروبا وأن يستقروا بها؟ مع تلك العداوة الدفينة التي تضمهرها المسيحية لهم؟ والأدهى من ذلك كيف انقلب ذلك العداء المستحكم إلى ولاء أعمى؟

المطلب الثاني: اليهودية واستيعاب المسيحية الغربية:

اعتقد الحاخامات اليهود بأن إزالة الحقد المسيحي على اليهود، يتأتى باستيعاب المسيحية من الداخل من أجل تحقيق توافق ديني. ومع أن

(1) - يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، د.ط. 1990م)، ص 19.

- Barbara Tuchman, Bible and Sword; England and Palestine from the bronze age to Belfour. (New York: New-York university press, 1956) p58.

(2) - إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، (القاهرة: دار الشروق، ط2، 1993م)، ص 76.

(3) - المرجع السابق، ص 34.

(4) - يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، ص 21/20.

- محمد السماك، الصهيونية المسيحية (بيروت: دار النفائس، د.ط. 1993م)، ص 17.

بعض تعاليم المسيحية -كما قدمنا- كانت نتاجا لتعاليم يهودية إلى حد بعيد بفضل بولس الرسول، وبخاصة بعد أن أضحى العهد القديم جزءا من الكتاب المقدس، إلا أن التغيرات العقائدية التي جاءت بها حركة الإصلاح حققت مثاقفة لاهوتية وتوافقا دينيا بين الديانتين غير مسبوق، وبخاصة مع بعض الفرق البروتستانتية التي يتعذر التفريق بينها وبين اليهودية الصهيونية، ولم يكن من قبيل المصادفة أن لبولس دورا في فتح الباب على مصراعيه، في ظهور البروتستانتية في القرن السادس للميلاد⁽¹⁾.

ولم تبلغ المثاقفة اللاهوتية بين اليهودية والمسيحية ما بلغته، مع ظهور بما يعرف بالإصلاح الديني في المسيحية، ولهذا الإصلاح أسباب وظروف ملحة مرت بها الكنيسة، فقد استغلت الكنيسة قبضتها وسلطتها الدينية أبشع استغلال، فتسلط رجال الدين على رقاب البشر ببيع صكوك الغفران وفرض ضرائب باهظة أثقلت كاهل المسيحيين ومعاداة العلم والتنكيل بالعلماء⁽²⁾. وهكذا بدت الكنيسة مشلولة لا تقوى على لعب أي دور في حياة المسيحية، مما أثار سخط المسيحيين، وتمخض عن هذا الوضع بروز حركة إصلاحية تزعمها مارتن لوثر.

أولا: مارتن لوثر والمثاقفة اللاهوتية اليهودية والمسيحية:

سطع نجم مارتن لوثر في الأفق، بصفته زعيما لحركة الإصلاح الديني المسيحي، نشطت آراؤه وأفكاره في بعث المعتقدات اليهودية في أوروبا وأمريكا، وجعلتها تحتل الصدارة على حساب المسيحية.

ومن أجل ذلك طُرح أكثر من سؤال في هذا السياق، حول خطة لوثر في إصلاح المسيحية، هل تتمثل في تقييد سلطة البابا، وتحرير الفكر المسيحي من سلطة الكهنوتية الجامدة التي أعاقَت التطور العلمي المنشود؟ أم إن خطته تعدت إلى المس بالمسيحية كديانة؟ ثم لماذا هذا التوافق الديني اليهودي الذي برز مع البروتستانتية؟

يعود هذا التوافق الديني اليهودي المسيحي، والتقارب الحاصل بين الديانتين إلى بروز أسماء يهودية لامعة، مهدت الطريق لهذا التقارب وظهور الحركة الإصلاحية، وعلى رأسهم جون ويكلف J. WYCLIF الإنجليزي الذي أسدى خدمة جليلة للتفكير اليهودي في ترجمة التوراة إلى اللغة الإنجليزية، مما أسهم في تسرب الآراء

والمعتقدات اليهودية إلى ثلة من اللاهوتيين المسيحيين⁽³⁾.

وميل مارتن لوثر اليهودية غير خافية منذ نعومة أظفاره و تحمسه لدراسة اللغة العبرية ، وشغفه بدراسة الكتاب المقدس⁽⁴⁾. وتأكيده على مركزية هذا الكتاب في الحياة المسيحية. ففي عام 1523م كتب لوثر كتابا تحت عنوان "عيسى وُلِدَ يهوديًا" الذي أعيد طبعه سبع مرات في نفس العام⁽⁵⁾. أفاض من خلاله في بيان أفضلية اليهود، وشجب اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لهم، محتجًا بأن المسيحيين واليهود

⁽¹⁾ - شفيق مقار، التوراة المسيحية، (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 1998م)، ص72.

⁽²⁾ - أحمد شلبي، المسيحية، ص 254.

⁽³⁾ - مهنا يوسف حداد، الالتقاء بين الفكر البروتستانتي والفكر اليهودي، دراسة في علم الإنسان اليهودي، (مجلة الثقافة، الجزائر، عدد103، السنة 19، يوليو/أغسطس 1994م)، ص73/71.

⁽⁴⁾ - انظر بالتفصيل عن حياة مارتن لوثر:

Chanione Marchand, La faillite initiale de Protestantisme. (pierre Tequi librairie ; 1934) p 2-18.

⁽⁵⁾ - ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ص 46.

ينحدرون من نسل واحد (1).

يؤمن مارتن لوثر بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ كل إسرائيل ستتحقق (2). وقد أعلن في أكثر من مرة، بأنه مستعد لتزويدهم بكل ما قد يحتاجونه من دعم، للعودة إلى أرضهم الموعودة. ومما يؤكد ذلك أن لوثر كان يحظى باحترام كبير من قبل الأسباط اليهودية، إلى حد اعتبار ظهوره وانتشار أفكاره، بشارة على قرب عودة المسيح المنتظر (3).

وهكذا، تشكلت الثقافة اليهودية البروتستانتية والتي تمثلت في المبادئ الجديدة للبروتستانتية:

1-الإقرار بأن اليهود هم شعب الله المختار.

2-وجوب الاعتقاد بالميثاق الإلهي السرمدي الذي يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين.

3-ربط العقيدة المسيحية بعودة المسيح المخلص بقيام الكيان الصهيوني.

هذه المرتكزات شكّلت في الماضي، وهي تشكل اليوم ثقافة لاهوتية جديدة، تُسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية (4). والجدير بالذكر، أن التفاف رجال الإصلاح حول العهد القديم، أسهم بقسط وافر في تغذية النزعة اليهودية عندهم، فقد نشطت ترجمة العهد القديم إلى اللغات الأوروبية، ولم يعد هذا الكتاب مجرد أثر أدبي شائعاً بين عامة المسيحيين فحسب، بل إنه أصبح مصدر المعارف التاريخية القديمة (5). وبسبب هذا الإرث المشترك، أشار بن غريون للكتاب المقدس المسيحي، بقوله: إنه صك اليهود المقدس للملكية فلسطين (6). وتبعاً لذلك أصبحت فلسطين أرضاً يهودية في المنظومة البروتستانتية، وأضحى اليهود غرباء في أوروبا، وسيعودون إلى فلسطين فلسطين عندما تحين الفرصة المناسبة.

إن تقييم مسار حركة الإصلاح، أنها لم تكن في مستوى طموحات المسيحيين عامة، فلم تُعزّ بتقييد سلطة البابا ومحاربة صكوك الغفران ومسألة الاستحالة، بل أسهمت في ظهور فرقة جديدة بين المسيحيين، فاتسعت رقعة الخلاف بينهم، وتأسست كنائس أخرى منفصلة عن الكنيسة الأم، وأسفرت عن انفجار أعظم الحركات المسيحية التي تجلت فيها الثقافة اللاهوتية المسيحية اليهودية في أنضج صورة، ومنها "حركة شهود يهوه" و"السبتيين"، ونشطت في العصر الحديث "الحركة الألفية" التي عمدت إلى إقامة المؤسسات والشركات من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين.

ومنه، فإن العلاقات البروتستانتية اليهودية، فتحت الباب على مصراعيه أمام ثقافة لاهوتية شاملة بين اليهودية والمسيحية، ولم يقتصر هذا التوافق على الجانب اللاهوتي فقط، بل تعدى ليشمل توافقا في الأفكار والاقتصاد والسياسة.

(1)- المرجع السابق، ص 47.

(2)- شفيق مقار، التوراة المسيحية، ص 65.

(3)- ريجينا الشريف، المرجع السابق، ص 68.

(4)- يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، ص 11.

(5) - شفيق مقار، التوراة المسيحية، ص 83/82.

(6) - ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز (سلسلة عالم المعرفة: الكويت، عدد 96، ديسمبر 1985)، ص 31.

تبعاً لما سبق، إن هذا التعاطف الغربي الرهيب، مع اليهودية والتنسيق التام معها، والتأييد الدائم والدعم المادي والسياسي لدولة إسرائيل، مدين إلى الثقافة اللاهوتية اليهودية والمسيحية البروتستانتية.

المبحث الثالث: الحوار المسيحي الكاثوليكي اليهودي:

وصلت الثقافة اللاهوتية المسيحية اليهودية أوجها مع البروتستانتية، وقد شجع هذا التوافق الحاصل إلى الشروع في توافق ديني، بين اليهودية والمسيحية والكاثوليكية.

لقد نجح اليهود في تحويل حدث المحرقة من جريمة إنسانية ارتكبتها النازيون -أيّاً كان حجمها- إلى قضية مظلومية تاريخية لليهود لصيقة بالعالم المسيحي، وعلى المسيحيين أن يدفعوا ثمنها، مما دفع إلى ولادة الصداقة اليهودية المسيحية في عام 1947 وفتحت بذلك حقبة من المعرفة المتبادلة والعمل المشترك، بهدف العمل على إصلاح الظلم الذي وقع فيه اليهود، ومحاربة معاداة السامية واليهودية في جميع مظاهرها، إلى أن جاء انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني والذي أرسى بداية فعالية حوار بين اليهودية والمسيحية الكاثوليكية، يحمل طابعاً لاهوتياً متميزاً، يختلف عن أي حوار آخر بين الأديان.

المطلب الأول: المجمع الفاتيكاني الثاني

أولاً- أهمية المجمع وأهم قراراته اللاهوتية:

يعد المجمع الفاتيكاني الثاني (1962 - 1965م) نقطة تحول جوهرية في تاريخ علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالأديان، فقد أحدث ثورة كوبرنيكية على حد تعبير الأب جوزيف كميل Joseph Camille 1، وباعتراف آباء الكنيسة الكاثوليكية، بأنه قلما حظي الحوار الديني في مجمع كنسي مسيحي، ما حظي إياه المجمع الفاتيكاني الثاني، من أثر المعاني وعميق المبادئ في اللاهوت المسيحي، وأضحى الحوار السبيل الأمثل لمسائل الاختلاف بين الأديان والمذاهب والمدارس والفرق، كما أعطى هذا المجمع إشارة واضحة لبداية الانعتاق والتحرر من قيود وترسبات ماضي الكنيسة الفظيع المغلق، لقد جاء إعلان المجمع الفاتيكاني الثاني ليعبر على أن الكنيسة الكاثوليكية ليست الطريق الوحيد الفريد لخلاص الجنس البشري، إذ ثمة طرائق دينية أخرى، يستخدمها الله لتحقيق خلاص غير المسيحيين، ويمكن للكنيسة أن تتعلم من الجميع، بما في ذلك أعدائها².

تتضح أهمية هذا المجمع، باعتبار قراراته اللاهوتية الحاسمة والتي لم تعرفها الكنيسة الكاثوليكية من قبل، في أن عقيدة الخلاص تتسع لغير المؤمنين، والحضور الكبير لرجال الدين رفيعي المستوى وأصحاب المذاهب الدينية الأخرى. حضر هذا المجمع المسكوني رقم 21 ما يقارب 2400 رجل دين كاثوليكي، مع بعض الملاحظين والمتابعين من الطوائف الأخرى؛ الأرثوذكسية والروم الأرثوذكس والبروتستانت، وبعض المدعوين من العلمانيين، ويعد هذا المجمع الأكبر في تاريخ الكنيسة، من حيث عدد المشاركين فيه. وسمي بالثاني؛ لأنه ثاني أكبر مجمع حديث بعد مجمع ترنت (1945 - 1963)، وافتتح المجمع البابا يوحنا الثالث والعشرون في 11 أكتوبر 1962م، وختم هذا المجمع المسكوني البابا بولس السادس في 7 ديسمبر 1965م، وصدر عن المجمع تصريح عن علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية.

تم افتتاح المجمع من قبل البابا يوحنا الثالث والعشرون يوم الخميس 11 أكتوبر 1962م، وتمت مناقشة التحديات التي تواجه الكنيسة؛

¹ -الأب جوزيف كميل جبارة، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية، كتاب واقع الحوار الإسلامي المسيحي، سلسلة الندوات الإسلامية المسيحية، (جامعة القديس يوسف، بيروت: دار المشرق)، ص 38

² - Patrick O'Connell, « Book Review on *La foi et la théologie* by Yves Congar », *Studies*, vol. 53, n° 211, automne 1964, p. 333-334

مثل: التكيف مع المستجدات، والانفتاح على قضايا العصر. وراجع المجمع الأزمة الداخلية للكنيسة، وضرورة إعادة الحياة لها، وقضية وحدة الكنائس، وفتح الباب لأول مرة في تاريخها أمام التفكير والحوار، في العلاقة مع الآخر غير المؤمن بالمسيحية⁽¹⁾.

إن سعي الكنيسة لعقد هذا المجمع، يأتي في ظل انفجار المعرفة الهائل بالغرب، و بزوغ عصر النهضة الأوروبية الحديثة، وحركة الإصلاح الديني. وجدت الكنيسة الكاثوليكية نفسها أمام ثلاثة مواقف: موقف الانكفاء على الذات، وموقف الاقتراب من العالم بغية إدانته، وموقف الحوار وهو اللحاق بالركب الحضاري، وقد اقتضت الضرورة أن تأخذ بالموقف الثالث مقابل بعض التنازلات، وتتخلص من قيود الأفكار الجامدة والتقاليد المكبلة⁽²⁾.

و بهذا، نصت قرارات المجمع وتوصياته على تطوير العلاقات الإيجابية مع العالم الحديث، والتخلي عن نظام الحروب المعمول به في المجمع السابقة، وتأكيد حقوق الإنسان خاصة الحرية الدينية، ونادت بالتعددية الدينية، كما دعت إلى إصلاح الروحانية الكاثوليكية والسلطة الكنسية⁽³⁾، ولعل أهم قرارات هذا المجمع: الإقرار بعقيدة خلاص غير المؤمنين بالمسيحية، وفتح المجال أمام الحوار بين الأديان كافة، حتى أديان آسيا؛ كالهندوسية والبوذية، والنظرة إلى اليهودية بإيجابية، وتبرئة اليهود من دم المسيح⁽⁴⁾.

أرجع الأب عادل تيودور خوري تغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية من الأديان، إلى انكباب رجال اللاهوت المسيحيين على البحث في مقارنة الأديان والصحوة التي تعرفها الأديان في العالم وتزايد الاهتمام بها، ودعت إلى إعادة نظر اللاهوت الكاثوليكي في الأديان، وحفرت على النظر إلى الأديان بإيجابية⁽⁵⁾، ضف إلى ذلك، التحولات الكبيرة التي شهدتها أوروبا منذ بداية عصر النهضة والتنوير، وانحصار الفكر اللاهوتي في قوالبه الجامدة وتراجع دوره وتقلص مساحات تأثيره؛ ليتقدم الفكر العقلاني عليه ويستأثر بالأمر كله طوال القرون الماضية.

ومع عدم مواكبة المسيحية للتطور العلمي الحاصل في الغرب، فإننا يمكن أن نتفهم هذا التغير الذي حدث في مواقف الكنيسة الكاثوليكية، نحو المزيد من القبول بالآخر، والحوار معه، وترسيخ التعددية الفكرية، والحرية الدينية، وهي ركائز أفكار عصر الأنوار⁽⁶⁾.

المطلب الثاني- المشاقفة اللاهوتية اليهودية والمسيحية الكاثوليكية في مجمع الفاتيكان الثاني:

يمكن القول بأن مجمع الفاتيكان الثاني حقق توافقاً لاهوتياً بين المسيحية الكاثوليكية واليهودية، لم يتحقق لأي دين من الأديان الأخرى، مما كان له عظيم الأثر في التقارب الديني والتفكير في التعاون المسيحي اليهودي.

1-المشترك الديني: حقق اليهود مكاسب كبرى من مجمع الفاتيكان الثاني لم يحققها أصحاب الديانات والملل الأخرى، لقد ألححت هذه المقررات بمكانة إبراهيم في اليهودية، إذ أشارت إلى الرابط الروحي الذي يجمع أبناء العهد الجديد باليهود أبناء إبراهيم عليه السلام، وبالمقابل لم تتم الإشارة إلى المسلمين، مع أن المسلمين الأبناء الأوائل لإبراهيم عليه السلام، عن طريق ابنه البكر إسماعيل عليه السلام.

وإن كان اليهود، قد نالوا حظوة واهتماماً، فإن المسلمين لم ينالوا ذلك الحظ من الاهتمام في هذا المجمع، مع أن الإسلام آمن برسالة المسيح واعتبره من أولي العزم من الرسل واعتبر الإنجيل فيه هدى ورحمة للناس، وأما اليهود فيكفيهم إهانة وإساءة إلى المسيحية، بأنهم لم يؤمنوا

⁽¹⁾ الأب جوزيف كميل جبارة، المرجع السابق، ص 106 – 108.

⁽²⁾ أليسكي جورافسكي، مرجع سابق، ص 140.

⁽³⁾ في ذكرى انعقاده، المجمع الفاتيكاني: العائلة مدرسة للفضائل، 6 أكتوبر 2018م، على: <https://www.albawabhnews.com/3312125> (2021/06/15)

⁽⁴⁾ -المرجع نفسه.

⁽⁵⁾ -عادل تيودور خوري، انطلاقة جديدة من أجل عيش مشترك في ظل المودة (لبنان: المكتبة البولسية، ط1، 2011)، ص 52.

⁽⁶⁾ -ألويديوس بييريس، لاهوت التحرير الآسيوي، ترجمة وليم سيدهم اليسوعي (بيروت: دار المشرق، ط3، 2012)، ص 28-29.

بالمسيح وحاربوه ورموا أمه الطاهرة البتول بأبشع الاتهامات. هذه الخطوة لليهود في هذا الجمع، عبّر عنها الحاخام سيجمان siegman في عام 1975 بقوله " إنّ السنوات العشر الماضية، تغيرت في رأيي جوهر علاقات الكنيسة الكاثوليكية مع الشعب اليهودي - على الرغم من كل ما تبقى فيها من تعقيد وكل إمكاناتهم الصراع والمعاناة، يمكننا بحق أن نؤكد أن هذا هو عملية لا رجعة فيها "1.

2-الترويج لرؤية لاهوتية جديدة: أسهمت إشاعة هذه الرؤية اللاهوتية الجديدة لليهودية 2 في خطة الخلاص، أو في تبديد الريب وتحسير الفجوة بين الديانتين، ودعت الأتباع إلى تناسي مآسي الماضي، و الانصراف بإخلاص إلى مواجهة الأزمات والتحكم في الصراعات؛ بغية توثيق عرى التعاون بين الكاثوليك واليهود.

3- تبرئة اليهود من قتل المسيح: أشارت قرارات الجمع، بأن الشعب اليهودي وثيق الصلة بشعب الله، وبموجبها تم رفض اتهامهم إجمالاً بالمسؤولية عن صلب المسيح-مع أن النصوص التي تدينهم لا تزال موثقة في الأنجيل - فكنيسة المسيح تعترف، بأن باكورة إيمانها ودعوتها للخلاص، تشمل الآباء و موسى عليه السلام والأنبياء، وبأن أتباع المسيح، هم أبناء إبراهيم بحسب التقليد الإيماني، وقد شملتهم رسالته "3. وعدلت الوثيقة وصدرت في أكتوبر 1965 تحت مسمى « وثيقة تبرئة اليهود »، وتضمنت التأكيد على أن ما حدث للمسيح من اعتداء لا يمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا يعيشون آنذاك، ولا إلى يهود اليوم، وما لحق من أذى، لا ينسب لجميع الشعب اليهودي4. للإشارة إلى أن الكنيسة الشرقية خالفت هذا التوجه اللاهوتي الجديد وحملوا اليهود اليهود مسؤولية وأنه لا يمكن تبرئتهم من قتل المسيح.

4-معاداة السامية: تبعاً لقرارات الجمع، صدرت تعليمة عن لجنة المقدس للعلاقات الدينية اليهودية والمسيحية نشرت في 16 مارس 1998، تعلّقت بالحرقة، بعنوان: «لنتذكّر، رؤى في الحرقة». تتضمن تصريحاً لاهوتياً جريئاً، ينص أن علاقات المسيحيين باليهود هي علاقات سلبية. ويهيب بالجميع إلى اتجاه أكثر وضوحاً، وإدانة اللاسامية. خاطبت الوثيقة مشاعر المسيحيين للتذكير بتراجيديا الحرقة. وشاع القول بأن ما جعل الحرقة ممكنة هو شيطنة متعمدة لليهود قام بها الباباوات في القرنين الماضيين. وفي رسالة واضحة وصريحة تضمنتها فقرات التعليم، عبّر «يوحنا بولس الثاني» عن رغبته في تناسي الخلافات، وطي صفحات الماضي وتضميد الجراح، وتقديم تنازلات، بما يفتح آفاق التعاون والتآلف لتشييد مستقبل مشترك، لا مكان فيه لمآسي الحرقة5. وأعطيت الإشارة إلى بدأ مؤتمرات جادة للحوار المسيحي الكاثوليكي اليهودي، توجت في ديسمبر 1970 بإنشاء اللجنة الاتصال الدولي بين الكنيسة الكاثوليكية واليهودية التي عقدت اجتماعات في باريس 1971 مرسيليا 1972: تحت شعار معاداة السامية، اضطهاد اليهود في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.6 واتخذت

1) - Rabbin H. Siegman, Dix années de relations judéo-chrétiennes. Les Églises devant le judaïsme, documents officiels 1948-1978, éd. M-T Hoch et B. Dupuy, Paris, 1980, p. 383

2) - Jean-Marie Delmaire, Vatican II et les juifs. Publications de l'École Française de Rome, Année 1989, n 113) p589.

3) - وثائق الجمع الفاتيكاني الثاني - تصريح عن علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية ص 471، 473 أنظر موقع: الأنبا تيكلاهيمانوت

<https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/unbelievers/council.html>

2) - Jean-Marie Delmaire, Vatican II et les juifs. Publications de l'École Française, p591.54

Ean-Marie Delmaire, Vatican II et les juifs. Publications de l'École Française p 601.

5) - Gerald caron L'antisémitisme chrétien un défi pour l'eglise paris: mediaspaul, 2002.pp89-90

6) - Jean-Marie Delmaire Une ouverture prudente : Paul VI, le Judaïsme et Israël. (Publications de l'École Française de Rome Année 1984, n72) p 826.

Voir : https://www.persee.fr/doc/efr_0000-0000_1984_act_72_1_2443

معاداة السامية مع البابا فرنسيس معاني جديدة ، فشجع البابا فرنسيس على إجراء بحث تاريخي حول الفريسيين اليهود من أجل تقديمهم بشكل أنسب في التعليم و الوعظ الكاثوليكي، وأن أي نعتهم بألفاظ نابية يدخل في معاداة السامية¹.

5-عدم التبشير بالمسيحية في أوساط اليهود: قامت الكنيسة الكاثوليكية بخطوة إضافية باتجاه اليهود، تمثلت باعترافها الصريح، بأنها لا تسعى إلى حملهم على تغيير دينهم، وتأكيدا أن المسيحية لا تعمل بأن تحل محل اليهودية. وأقرت لجنة العلاقات الدينية مع اليهودية في وثيقة لاهوتية-تعد معلما جديدا على طريق المصالحة- بأن لليهود حظا في الخلاص الإلهي، حتى لو لم يعترفوا بالمسيح، وكان البابا بنديكطوس السادس عشر أعلن في مقابلات كثيرة، عبّر فيها عن تصديه لأي خطوة لحمل اليهود على اعتناق المسيحية².

المطلب الثالث: الآثار اللاهوتية المترتبة من إعلان المجمع الفاتيكاني الثاني:

تعتبر «نوسترا آينات» -Nostra aetate- أو «مجلس الحوار مع الأديان غير المسيحية» المؤسسة الأهم التي أنشئت عقب مجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965)، باعتبارها المرجع النظري والتطبيقي لعلاقة الكاثوليكية مع الأديان والعقائد غير المسيحية، وحظيت اليهودية بموقع متقدم، ضمن نشاطاتها التي باشرتها في إطار الدعم وتشجيع الحوار، والتي من أهمها:

-تشكيل لجنة العلاقات الدينية مع اليهودية سنة 1974، من قبل البابا بولس السادس، والتي ألحقت بالمجلس البابوي لتطوير العلاقات المسيحية اليهودية، أخذت على عاتقها الإشراف والمتابعة في تطوّر الحوار المسيحي اليهودي. وأصدرت لجنة الكرسي الرسولي، في السنة نفسها ديسمبر 1974، أول تعليمة تدعو فيها إلى التقرب من اليهودية لمعرفة بالشكل التي هي عليها أكثر، ومباشرة عمل الحوار مع اليهود، وبيان مجالات الحوار والتعاون في التدريس والتعليم والمجال الاجتماعي³.

-شجعت هذه اللقاءات على فتح حوار مع منظري الصهيونية، وكان أول لقاء بين اليهود الصهيونيين والفاتيكاني عام 1904م حين تقابل تيودور هرتزل Tudor Herzl قطب الصهيونية، والبابا بيوس العاشر، فأوضح هرتزل مشروعه الصهيوني، وطلب منه المساعدة المعنوية والدينية، إلا أن البابا رفض ذلك بحجة أن اليهود لم يعترفوا بالسيد المسيح، ولذلك لا يمكن الاعتراف بالشعب اليهودي⁴. وتبعاً لذلك عارضت الكنيسة الكاثوليكية بشدة قرارات الاستيطان اليهودي، ونددت بإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين فلسطين في أكثر من مناسبة، وظلت على موقفها حتى قيام هذا الكيان عام 1948م، بالرغم من الضغوطات الدولية والعالمية التي مارسها الدول الغربية لتغيير موقفها⁵.

ومع المجمع الفاتيكاني الثاني والمكاسب التي حققها اليهود، لاحت في الأفق دعوات التقارب والحوار بين المسيحية واليهودية، توجت بإصدار توصيات تدعو صراحة إلى ضرورة التلاحم بين العهدين القديم والجديد

ولتفسير هذا التقارب، كان للجانب السياسي دوره الفاعل والمؤثر في التغير الذي حصل في موقف الفاتيكاني من إسرائيل. لقد نجحت

¹ - Le pape, ami des Juifs, prié d'adoucir ses homélies sur les pharisiens . Le Point International France 2/05/2019.

² - Ibid.

³ - عز الدين عناية، علاقة الكاثوليكية باليهودية في التاريخ المعاصر، ديوان العرب، 13 (أكتوبر) 2019

الرابط: <https://www.diwanalarab.com/>

⁴ - يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، ص 56.

⁵ - المرجع نفسه، ص 57.

الصهيونية في استمالة الكاثوليك؛ باستغلالها الحرب الباردة بين الشرق والغرب لمهاجمة الشيوعية، بحملات منظمة في مجال الهجوم على الشيوعية، وأن الاتحاد السوفياتي ومن ينصره من الدول الشرقية تقدم للعرب الأسلحة. وتبعاً لذلك، تقدم البابا بطلب لقبول دولة يهودية عضواً ببيئة الأمم المتحدة، ووجد هذا الطلب دعماً وتأييداً من قبل دول أمريكا اللاتينية، بناءً على رغبة البابا آنذاك، وهي دول كاثوليكية تخضع لأوامر الفاتيكان¹.

كما نشط اليهود في تشجيع حركات التقارب التي أسهمت بدورها في التأثير في قرارات الفاتيكان، وصاحب ذلك قرارات بابوية، تلتحم فيها النظم المسيحية باليهودية، وبرزت أكثر مع تولّي البابا بولس يوحنا الثاني كرسي القيادة البابوية في الفاتيكان. لقد اعتبر بابا يوحنا أن الجماعتين اليهودية والمسيحية تجمعهما عقيدة واحدة، وإن المستقبل للتعايش بين أتباع الديانتين يتم عبر تعزيز الحوار والتفاهم والسلام، إلى أن تم الاعتراف بدولة إسرائيل لاحقاً⁽²⁾. وتبع ذلك بإصدار الفاتيكان كتاباً تحت عنوان "ملاحظات لتقدم أفضل لليهود واليهودية"، حث فيه من خلاله المسيحيين على اجتثاث رواسب العداوة للسامية الكائن في نفوس الكاثوليك، وذكرهم بأن المسيح يهودي، وسيظل كذلك دائماً، وناشد كاثوليك العالم لتفهم ارتباط اليهود الديني بأرض أجدادهم⁽³⁾.

وبلغت الثقافة اللاهوتية بين الديانتين مداها، بصدر تعليمية رسمية عن لجنة الفاتيكان 1985م برأت اليهود من دم المسيح، وتضمنت توصيات لرجال الدين الكاثوليك والكنائس والمؤرخين بعدم التعرض لهم، وتحملهم مسؤولية قتل المسيح، ويأتي إصدار هذه التعليمات بناءً على توصيات المجمع الفاتيكاني الثاني⁽⁴⁾.

وآخر حلقة في سلسلة الثقافة اللاهوتية اليهودية والكاثوليك، تتمثل في تلك الوثيقة التي تعترف بالذنب تجاه اليهود، وترجو الصفح والمغفرة منهم، وتعذر لهم عن توقف الفاتيكان أثناء مذابح النازية، صدرت وثيقة المغفرة خلال الفترة 30 أكتوبر إلى 02 نوفمبر 1997م، حين قدّم البابا يوحنا بولس الثاني وثيقة بهذا الشأن، لتتم مناقشتها والتصويت عليها من قبل ستين قسيساً في الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية. وقد أوصت هذه الوثيقة بتعديل النصوص الإنجيلية التي تهاجم اليهود⁽⁵⁾. والجدير بالذكر أنه في خضم هذه الثقافة اللاهوتية الحاصلة، لم تكد الساحة المسيحية تخلو من قساوسة نددوا بالثقافة اللاهوتية الحاصلة، فهذا القس جيرالد ويزود Gerald. w يصرح قائلاً: «إن القوى ذاتها التي صلبت المسيح طيلة 1900 سنة، تسعى اليوم إلى صلب كنيسته»،⁽⁶⁾.

إن التقارب المسيحي اليهودي الحاصل على جميع المستويات، مدين إلى الثقافة اللاهوتية بين الديانتين والتي تبلورت عبر محطات تاريخية كبرى، تشكلت منها منظومة لاهوتية متوافقة، أسهمت في رآب الصدع وإزالة العداوة التاريخية، وفتحت عهداً من التفاهم والتجانس في الرؤية الواحدة لكبرى القضايا. وإن هذا التعاطف المسيحي الغربي الرهيب، مع اليهودية والتنسيق التام معها، والتأييد الدائم والدعم المادي والسياسي لدولة إسرائيل، مدين كله إلى ذلك التوافق الديني والامتزاج الروحي الذي حققته الثقافة اللاهوتية اليهودية والمسيحية الغربية.

¹ يوسف حسن ، البعد الديني في السياسة الأمريكية، ص 57

⁽²⁾ - المرجع نفسه.

⁽³⁾ - Gerald caron L'antisémitisme chrétien un défi pour l'eglise, p-90

⁽⁴⁾ - يوسف حسن، المرجع السابق، ص 57.

⁽⁵⁾ - المرجع نفسه.

⁽⁶⁾ - محمد السماك، الصهيونية المسيحية، (بيروت: دار النفائس، ط3، 1981). ص 14/13.

خاتمة: تلخص الدراسة إلى جملة نتائج، من أهمها:

- لا شك أنّ الحوار المسيحي اليهودي له طابعه المميز، هو حوارٌ متفرّدٌ تأرجح من وضع إلى نقيضه، من عداً مستحكماً إلى تآلف وانسجام.
- كان لليهود بداية دور السبق في محاولة تحويل هذه القطيعة اللاهوتية إلى توافق لاهوتي، وتوج هذا التوافق بتشكيل ثقافة لاهوتية بلغت أوجها مع البروتستانتية، ألقت بظلالها على عالم الأفكار والاقتصاد والسياسة.
- جاء مجمع الفاتيكان الثاني الذي أحدث طفرة نوعية في العلاقة اليهودية الكاثوليكية؛ لما تضمنه من توافق ديني، أساسه ثقافة لاهوتية جديدة، لا يمكن فيها أن تُعدّ اليهودية مجرد دين مخالف؛ بل اليهود هم آباء الإيمان الكنسي.
- إنّ الثقافة اللاهوتية الكاثوليكية واليهودية المعاصرة، تجعل من الحوار الديني الكاثوليكي اليهودي، حواراً داخلياً في الدين، واللاهوت الجديد الذي جاء به المسيح، لا يلغي اللاهوت السابق الذي جاء به موسى ولكن يكمله.
- مؤتمرات الحوار المسيحي اليهودي، إنما هو مشروع عمل ينطلق من رؤية استراتيجية مشتركة، تبرز دور الدين في تضييق الجراح وتوطيد التواصل وحلحلة المشاكل العالقة، ويدعو إلى المشاركة الشاملة لجميع المؤسسات، وتوفير فضاء يتعزز فيه التعاون عابر للحدود، على عكس مؤتمرات الحوار المسيحي الإسلامي التي لم تحقق نتائج عملية تذكر، حيث لا تتعدى كونها لقاءات شكلية، تغلب عليها الجملات والظهور الإعلامي، فلا المسلمون ولا غيرهم جنى ثمار لقاءات ومؤتمرات عديدة.

قائمة المراجع:**1 - اللغة العربية:**

- الكتاب المقدس: ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1989م.
- تعرف إلى الكتاب المقدس، الأب أسطفان شرينية، ترجمة الأب صبحي حمودي اليسوعي، دار المشرق، د.ط. بيروت، 1986.
- علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية، كتاب واقع الحوار الإسلامي المسيحي، الأب جوزيف كميل جبارة، سلسلة الندوات الإسلامية المسيحية، جامعة القديس يوسف، دار المشرق، بيروت.
- المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة، ط8، القاهرة، 1984م.
- لاهوت التحرير الآسيوي، ألويوس بييريس، ترجمة وليم سيدهم اليسوعي، دار المشرق، ط3 بيروت، 2012.
- الإسلام والمسيحية، أليسكي جورافسكي، ترجمة خليف محمد الجراد، سلسلة كتاب المعرفة، عدد 215، الكويت، نوفمبر 1996.
- الاختراق الصهيوني للمسيحية، إكرام لمعي، دار الشروق، ط2، القاهرة، 1993.
- رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سينوزا، ترجمة حسن حنفي، الطليعة للطبع والنشر، ط2، بيروت، 1981.
- الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، رشاد عبدالله الشامي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس آب 1978.
- الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ريجينا الشريف، ترجمة أحمد عبدالله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، عدد 96، الكويت، ديسمبر 1985.

- شارل جنير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ط. - د.ت.).
 - التوراة المسيحية، شفيق مقار، رياض الرئيس للكتب والنشر، ط1، لندن، 1998م.
 - المشترك التوحدي و الضمير الإنساني ، صلاح سالم، مكتبة الشروق الدولية، ط2، القاهرة، السنة 2010م
 - انطلاقة جديدة من أجل عيش مشترك في ظل المودة ، عادل تيودور خوري، المكتبة البولسية ط1، لبنان، 2011.
 - حياة المسيح، عباس محمود العقاد، القاهرة، دار الهلال، د.ط. - د.ت.
 - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
 - التوراة الهيروغليفية، فؤاد حسنين علي، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، مصر، د.ط - د.ت.
 - المسيحية بين البوذية والإسلام، لويس صليبا، دار ومكتبة بيبليون، ط1، بيروت، 2018.
 - الالتقاء بين الفكر البروتستانتى والفكر اليهودي، دراسة في علم الإنسان اليهودي، مهنا يوسف حداد، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد103، السنة 19، يوليو/أغسطس 1994م.
 - الصهيونية المسيحية، محمد السماك، دار النفائس، ط3، بيروت، 1981.
 - البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990م.
 - قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، مصر ، 1990 م.
- 2- اللغة الفرنسية:**

- Christienne. s. Juifs, Chrétiens et Romains les edition de la bible .(paris novembre 1985).
- Chdashoine, E, Oosty. Les Epitres de Saint Paul. Traduction nouvelle avec introduction cet notes (Paris, edition Siloe, s.d.)
- Chanione Marchand. La faillite initiale de Protestantisme. (pierre Tequi librairie , 1934).
- Gerald caron L'antisémitisme chrétien un defi pour l'eglise .(paris: mediaspaul, 2002)
- H. G. Wills, Abrégé de l'histoire du monde (Genneve. Edition Jeneber, s.d.)
- J. M. GUILLEMON, EPITRES DE SAINT PAUL. (analyse-raisonne). (Paris, Librairie editeurs 1873).
- Jean-Marie Delmaire. Vatican II et les juifs Publications de l'École Française de Rome Année 1989 N 113.
- Jean-Marie Delmaire Une ouverture prudente : Paul VI, le Judaïsme et Israël_Publications de l'École Française de Rome Année 1984 n72.
- Marchdone. Jesus et les Pharisiens (Les dossiers de la Bible, Paris, n°12. Mars 1986)
- Marce Simon, Les Sectes Juives au temps de Jesus. (Paris ; 1960)
- PAUL Routier du Christ, (Paris ; Edition Castekman, 1946).
- MICHEL, QUESNEL. L'HISTOIRE DES EVANGILES (Paris, les editions du Cerf, 1987)
- Rabbin H. Siegman, Dix années de relations judéo-chrétiennes. Les Églises devant le judaïsme, documents officiels 1948-1978, éd. M-T Hoch et B. Dupuy, Paris, 1980, . Le Point International France 2/05/2019.

3- اللغة الانجليزية:

- Barbara Tuchman, Bible and Sword; England and Palestine from the bronze age to Belfour. (New York: New-York university press. 1956)

-
- Patrick O'Connell, « Book Review on *La foi et la théologie* by Yves Congar », *Studies*, vol. 53, n° 211, automne 1964.
- Abram Leon Sather. A History of The Jews. (New York, Alfred A. Knob. 1967).

4- المواقع الإلكترونية

<https://www.albawabhnews.com/3312125>.

<https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/unbelievers/council.html>

https://www.persee.fr/doc/efr_0000-0000_1984_act_72_1_2443

<https://www.diwanalarab.com/>